

الأنظمة اللغوية للوحدة الافرادية في النص الابداعي

Linguistic Units and Vocabulary Unity in Artistic Texts

أ. حمدية زدام
أستاذة بكلية الآداب واللغات
جامعة حسبية بن بوعلی بالشلف
Email: hamdiazeddam@yahoo.fr

ملخص

إن النص إطار فني منظم، تتفاعل في ثناياه، وحدات لغوية، ترتبط فيما بينها بواسطة علائق متباينة، على مستويات متنوعة لتحقيق وظائف عديدة، أرادها المبدع، أن تجسد في نصه الابداعي، وهي لاشك تحقق في التوظيف الصحيح للفظة المفردة، في مساق يربطها بباقي عناصر التركيب، في سياق تعبيرى، يخضع لمعايير وقوانين تكتمل بها الخصائص الافرادية للنموذج الفني.

الكلمات الدالة: الأنظمة اللغوية، للوحدة الافرادية، النص الابداعي

Abstract

The text is a regular artistic form in which many linguistic units react. The latter are related to each other by a variety of relations at various levels to reach many functions that the creative likes to be performed in his text. These linguistic units are fortunately crucial in the correct implementation of individual words within a certain context i.e. the rest of elements in a context. This implementation generally submits to a number of rules and norms to complete the individual characteristic of the artistic sample.

Key words : artistic texts - linguistic unity - norms

كذلك ينبغي، أن يجتنب في التركيب على الحركتين المتواليتين، إذا توالى حركتان ثقيلتان، في لفظة واحدة. استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الباء، لأن الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان كالجزع⁽⁴⁾.

وميزان هذه الاحكام هو حاسة السمع، فهي الحاكمة في هذا المقام، بحسن ما يحسن من الالفاظ، وقبح ما يقبح منها

ومن اوصاف الكلمة ان تكون مؤلفة من اقل الأوزان، تركيبيا، وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه سر الفصاحة⁽⁵⁾، وذلك مثل لفظة: سوايداواتها.

ويرى ابن الاثير أن الاصول من الالفاظ لا تحسن إلا في الثلاثي، وفي بعض الرباعي واما الخماسي من الاصول فإنه قبيح⁽⁶⁾، إذ ينبغي تجنب الالفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها، سواء اكانت طويلة أم قصيرة كقول امرئ القيس: غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَرَاتٌ الى العلاء... فهي كلمة يقبح استعمالها، لأنها

لقد ذكر علماء اللغة أن للألفاظ المفردة خصائص وهيئات تتصف بها، وقد اشار ابن الأثير الى ذلك في حديثه عن الفصاحة والبلاغة. ففي المسألة المتعلقة بالبنية الصوتية⁽¹⁾، ذكر أن الألفاظ داخله في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها فهو الحسن، ما كرهه ونبا عنه فهو القبيح. فسر استخدام العرب للألفاظ الحسنة، راجع الى خصائص وهيئات وعلامات توفرت فيها⁽²⁾

وان سنان الخفاجي يعرض الى صفات الألفاظ، ويقسمها الى عدة اقسام⁽³⁾: كتباعد مخارج الحروف: فمعظم كلام المدونة العربية دائر عليه، لان الواضع قسمها في وضعه الى ثلاثة اقسام: ثلاثياً ورباعياً وخماسياً، وأكثرهم استعمالاً، الثلاثي ثم الرباعي الذي هو وسط بين الثلاثي والخماسي، في العدد والاستعمال، أما الخماسي فهو الأقل، ولهذا أسقطت ألفاظ كثيرة تتقارب فيها مخارج الحروف. فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين، كذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاي والسين.

التي جعلت تلك الصيغة، بذلك التركيب الصوتي وبتلك الهيئة مناسبة أتم المناسبة لعناه الدال على الحركة والاضطراب.

مثلاً في المصادر الرباعية المضعفة، تجدها تأتي للتكرير نحو: زعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والققعقة.....

فهي كلها تدل على التحريك، إذ تستشعر روابط من التناسب بين البنية الصوتية لهذه المصادر، ومعناها يقول ابن جني « إن هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها

من التكرير المشترك بين ألفاظ تلك البنى مما يضيف الى معناها المعجمي، معنى آخر تضيفه دلالتها الصوتية»⁽¹⁵⁾

ومثل ذلك أيضا صيغة (الفعلى)، وما تدل عليه من معنى السرعة والتتابع وتوالي الحركات.

أما الأفعال المجردة فهي تدل على المفاجأة للسمع بالإخبار عن الحدث دون التمهيد بأحرف تسبقه مثل: خرج، دخل فهي اخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت. أما التي تقدمتها الزيادة على الأصل التي جاءت على وزن (فعلل) كأحسن، أكرم، فهنا يدل على سعي، تسبب وتعمل.... فتشعر في هذه الصيغ بما تقدم الفعل من سعي وتسبب وتعمل، فأحرف الزيادة التي تتقدم الأصول هي بمثابة مقدمة لها، والمؤدية إليها.

وتكرير العين في المثال، دليل على تكرير الفعل مثل، كسر، قطع.... فكان اللفظ دليلاً على معناه فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابله قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما ومحفوظة بهما وفي هذا يقول ابن جني: « فلما كانت الأفعال دليلاً المعاني كروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل»⁽¹⁶⁾

وفي صيغة استفعل جعلت في أكثر الأمر للطلب: نحو: استسقى، استصرخ....

وفي نحو: صرصر، حقق، فهي دليل على تقطيع الفعل⁽¹⁷⁾

وهذه ظاهرة واضحة في كل اللغات وهي ما صطلح على تسميتها onomatopoeia وهي الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة⁽¹⁸⁾

فترى أن الدلالات الفنية، وليدة السياق وخليقته فالسياق هو الذي حمل الصوت هذا المعنى، إذ الحرف خارج النظم يحمل دلالات حينية تتغير وتتبدل لما يلحق بسياق الحروف الأخرى المشكلة للفظ. فيحصل تفاعل دائم بين السياق والتشكيل الصوتي فالمبدع يختار من الأصوات، ما يتناسب والمعنى المعبر عنه، في سياق يمنح للفظ دلالات فنية إيحائية تحمل علاقات خفية بين السمات الصوتية والمعاني الدالة عليها⁽¹⁹⁾

تثقل على اللسان، ويشق النطق بها. ومن الخصائص الجوهرية الأخرى، علاقة اللفظ بالمعنى إذ ينبغي حصول علاقة تناسب بين الفعل ومعناه، من حيث بنية الصيغة ودلالاتها على المعنى الافرادي لذات اللفظ

مثلاً: صر (صوت الجندب) ثلاثي مضعف العين، فتضعيف الرء الناشئ عن التشديد فيها، ينتج عنه نوع من المط والاستطالة، ينشأ عنه سمّة التكرارية التي تتسم بها الرء وهذا في نهاية الكلمة ما في صوت الجندب من مد واستطالة فالمناسبة هنا ظاهرة بين أصوات هذه الكلمة ومعناها الذي تدل عليه.⁽⁷⁾

وقد التفت الخليل وسيبويه الى اثر زيادة المبنى في زيادة المعنى ، كما قد التفتا الى الغرض من تلك الزيادة، كما هو الشأن في التوكيد والمبالغة، فقيل: اعشوشبت الأرض، يريدون ان يجعلوا ذلك كثيراً عاماً، قد بالغ⁽⁸⁾

وقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه، وسماه « ماجاء على مثال واحد، حين تقاربت المعاني»⁽⁹⁾

فزيادة المبنى في هذه الصيغة، قد ناسب زيادة المعنى، وهو إرادة المبالغة⁽¹⁰⁾ وابن جني أخذ اشارات كل من الخليل وسيبويه في هذا المجال، وأولاهها عناية فائقة، إذ أخذ يعلل ويبين وجه مناسبة تلك المصادر لمعانيها تعليلاً جيداً بقوله

«فقابلوا بتوالي حركات المثال (أي الصيغة) أو البنية توالي حركات الأفعال»⁽¹¹⁾

كذلك تطرق علماء اللغة الى أهمية نظم الحروف، ودلالات الأصوات التي يعطيها لها السياق، وابن جني ينتبه الى القضية، ويمنحها عناية كافية. كما يتبين من خلال قوله لما رأى أن « دلالة الكلمة باعتبارها تركيباً صوتياً له بنية وهيئة بعينها بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة، ومناسبة ذلك التركيب، وتلك الهيئة للمعنى، الذي وضعت له الكلمة»⁽¹²⁾

لقد أهتم ابن جني بدراسة الدلالة الصوتية، على هذين المستويين⁽¹³⁾ في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) حيث يقول: « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم وواسع»⁽¹⁴⁾.

فللصوت وظيفة لغوية تكمن في بناء مركبات صوتية أكبر، فالفونيم، وهو أصغر وحدة صوتية، يساهم مع غيره في بناء وحدة صوتية أكبر من الفونيم، وهي المورفيم، فيحدث من خلال ذلك، تغيير معنى الوحدة الصوتية أو العلامة اللغوية جاعلاً منها صيغة صرفية جديدة، بمعان مكتسبة، ومختلفة تتطابق وما تدل عليه

ففي صيغة (فعْلان) تلمح المناسبة بين تلك الحركات المتوالية

للبيع سواء أبيع أم لا.

وقولك أيسر يشير الى الدلالة على الصيرورة، وقد يأتي للتعبير عن دلالات أخرى، وهذا بالنسبة للمكون التحويلي الذي يتصدر الأصول.

أما إذا توسط أو كان دليلاً للمكون الأساسي فهنا تتغير الدلالة وتباين⁽²³⁾

فالزيادة تشمل صيغا عديدة ستختلف دلالتها باختلاف عدد حروف الزيادة التي تلحقها.

ومن الخصائص الأخرى التي تضاف الى الصيغ الصرفية: دور المورفيم في تحويل الصيغة من المفرد الى المثنى الى الجمع وتحديد الحالة الاعرابية كوجود الواو والنون أو الألف والنون في حالة الرفع بالنسبة للجمع والمثنى

كما يحد المورفيم زمن الفعل او تحويله من الماضي الى المضارع او المستقبل او الماضي المستمر او المضارع المستمر او المبني للمجهول بدلا من المبني للمعلوم وهناك مورفيمات عدة لتحويل الفعل زمنيا، فنقول من جلس: يجلس، اجلس، نجلس، تجلس، اجلس، سيجلس، جالس مع الانتباه الى ان بعض هذه المورفيمات وهي في الغالب إما ياء او تاء او همزة والسين التي للتسويق، سوف تحدد في الوقت ذاته نوع الفاعل وجنسه.

فالهزمة للفاعل المتكلم، والنون للجمع المتكلم والياء للغائب، والتاء للغائبة وهمزة وصل في اول الفعل الساكن الآخر للمخاطب المذكور. أما كلمة جالس فهي تدل على الفعل المضارع المستمر ومن وظائف المورفيم: التصغير وهو اضافة ياء بعد الصوت الثاني من اصول المكون الأساسي المجرد من المكونات التحويلية مثل: نهر، نُهَيْر⁽²⁴⁾

والمورفيمات انواع حرة ومقيدة. مثلا: المورفيم الحر (مسلم) لو اضعنا له مورفيماً مقيداً (ات) يمنحنا (مسلمات) صيغة جمع المؤنث السالم، فمورفيم الجمع (ات) (suffix) يعد لاحقة اضيفت للجذر وفي قولنا رجل ورجال، جاء المورفيم في وسط الكلمة فهي (داخله) (infix).

وقولنا الرجل المورفيم (ال) جاء في أول اللفظة (prefix) وهناك المورفيم الصفري، وهو المورفيم المغيب الذي يقدر المتلقي وجوده وهو أن تتغير دلالة الجذر أو معناه أو استعماله من غير حاجة الى المورفيم مثل: عجوز أو قولنا: اذهب بعيداً فإننا لا نحتاج الى ذكر الفاعل، وهو ضمير المخاطب.

وللمورفيم الاشتقاقي دور في تغيير المعنى كقولنا شفي واشفى أو أن يؤدي الى تغيير صنف الصيغة الصرفية فيحول الفعل الى اسم أو الاسم الى فعل أو أي صيغة أخرى بديلة⁽²⁵⁾

فلمورفيمات أهمية في تنويع دلالات اللفظ العربي فتدل على

والعلماء القدامى كالخليل وسيبويه قد تطرقوا الى هذا الجانب الخاص بالمستوى الفونولوجي للبنية المضردة وهي جهة تنظر الى التراكيب الصوتية داخل البنية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها، لكن ماأضافه ابن جني يفوق بكثير ما أشار اليه. هؤلاء

ومن صفات الافراد، التغيير، وما يلحق اللفظة من لواحق تهدف الى بناء الكلمة للتعبير عن معان أخرى، تعني بالدلالة الزمنية وهي دالة على حدث يقترب بزمن وتحصل ايحاءات دلالية ناتجة عن مادتها، وهيئتها التي بنيت عليها، وعن استعمالها المختلفة.

وهذا التلوين يختص بالفعل في التركيبية الثلاثية وغير الثلاثية وفي عناصرها الصحيحة، والمعتلة، وفي وظيفتها المتعدية واللازمة.⁽²⁰⁾

وللصيغ الفردية دلالات تتغير بتغير البنية، من حيث الحروف والحركات مثلا صيغة فعل قد تأتي للدلالة على حالات عديدة في قول عنتره:

ولقد أبيت على الطوى وأظله

حتى أنال به كريم المأكل

دلالة الفعل هنا على الأخذ،

أو دلالة فعل على العلل والاستقام، كما قال ابن الحاجب وفعل تكثر فيه العلل نحو: سَقِمَ، مَرَضَ....⁽²¹⁾

ومثل: فعل التي تدل في الغالب على طبائع، طبع عليها الخلق، ودلالته جعلته لا يكون إلا لازماً لأن الغريزة تكون لازمة لصاحبها ولا تتعداه الى غير وهذا ما أكده سيبويه حين عده ضرباً رابعاً لا يشركه فيه ما يتعداه وذلك فعل يفعل نحو يكرُم وليس في الكلام فعلته متعدياً⁽²²⁾ نحو شرف و ظرف فتغير حركات الصيغة المكونة من أصول ثلاثية أساسية أدت الى تغيير دلالة اللفظ فالكسر والفتحة والضم التي لحقت المكون الوسط للبنية قد أثرت على دلالة البنية الواحدة، وشملت ايحاءات متنوعة.

كما أن الزيادة على الأصول تحدث تغييراً دلالياً واضحاً وقد تلحق أحرف الزيادة affexation على الأصول الثلاثية تصديراً أو توسيطاً أو تدبيلاً فتمنح الصيغة معاني جديدة.

ونستطيع أن نسمي الصيغة بالمكون التركيبي المكون من المكون الأساسي، أي البناء الأصلي والمكون التحويلي أي الزيادة المضافة ودلالة المكون التركيبي وهو ما يسمى بالمكون الدلالي.

فدلالة المكون التركيبي افعل يشير الى دلالات متنوعة كالتعدية مثلا قولك: أجلسته الذي يتضمن معنى التصيير كما يأتي للدلالة على التعريض كقولك أبعته: أي عرضته

(18): أنظر كتاب دلالة الألفاظ لأبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية ط6-1991 ص 68-69

ودي سوسر من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات إذ يراها اعتبارية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد

انظر كتاب دروس في الألسنة العامة: ترجمة صالح الفرماوي وغيره الدار العربية للكتاب 1985.

(19): يراجع كتاب الخليل من احمد، وكتاب سيبويه، وكتاب ابن حني، وكتاب ابن الاثير، وكتاب ابن فارس هؤلاء النفر من العلماء تحدثوا عن دلالة الصوت ومناسبته لعناه

(20): أنظر الكتاب لسيبويه 38/4.

(21): شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر العربي- بيروت لبنان 1975/1.

(22): الكتاب لسيبويه 38/4

(23): راجع كتاب دلالة الإيحائية للصيغة الأفرادية. صافية مطهري طبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003 ص 80.

(24): ينظر كتاب في اللسانيات ونحو النص للد: ابراهيم خليل- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (دط) 2007 ص 78.

(25): ينظر المرجع السابق في المبحث الخاص بنظرية المورفيم.

المصادر والمراجع المعتمدة

المصادر

1 - الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق: الدكتور: عبد الحميد هندواوي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2-2003.

2 - الاقتراح في علم أصول النحو. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1-1998.

3 - الكتاب لسيبويه- المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق- مصر- المحمية.

4 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة (دط) 1939.

5 - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان - 1988.

6 - شرح الشافية لابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن - ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر العربي- بيروت - لبنان- 1995.

المراجع

1 - دلالة الإيحائية للصيغة الأفرادية. صافية مطهري- طبعة اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2003.

2 - في اللسانيات ونحو النص للد: ابراهيم خليل- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة- (دط) 2007-.

3 - دلالة الألفاظ، لأبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو مصرية- ط6-1991.

التكثير والمبالغة مثل: علامة ونسابة وعلى التمييز بين الجمع والمفرد والنون في أواخر بعض الأفعال تنم على أن الفعل فاعله أكثر من شخص أو مفرد أو مؤنث.

وهكذا نخلص إلى أن النص نتاج سلسلة من المركبات التعبيرية التي تتركز على خصيصة جوهرية تعد اللبنة الأساس في تشكيل هذا البناء اللغوي للنموذج الابداعي وهي الأصوات والوحدات اللغوية الصغرى المكونة للبنية المبردة جاعلة منها إشعاعاً إيحائياً متشظياً يبلغ الافاق

إنه المخزون المعرفي الذي يستقر في الحس اللغوي للمبدع فيعمل على توجيهه ويدله على اختياره وعلى مستويات مختلفة بطريقتة لأشعورية أقرتها لديه السليقة العربية والموهبة الصافية التي ميزت العربي عن غيره.

الهوامش

(1): انظر كتاب المثل السائر لابن الأثير

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة (دط) 1939-148/1.

(2): راجع باب الفصاحة والبلاغة من المصدر السابق.

(3): سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان 1982 ص 60.

(4): المثل السائر 191/1

(5): سر الفصاحة: ص 81.

(6): المثل السائر 188/1

(7): الخصائص لابن جني تحقيق الد: عبد الحميد هداوي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان 2003 ط12/18

وانظر كتاب الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ط1-1998 ص 17.18.19

(8): الكتاب لسيبويه- المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق- مصر المحمية 241/2.

(9): المصدر السابق 219/2 و 214/2 و 216.

(10): الخصائص 152/2.

(11): المصدر السابق 52/2

(12): المصدر السابق 20/1

(13): المستوى الأول من ذلك كان النظر الى صفة الحرف ومخرجه وهذا ما يصطلح به: (phonetique).

(14): المصدر السابق 157/2

(15): المصدر السابق 22/1

(16): المصدر السابق 24/1.

(17): المصدر السابق 155/2